

الكتابة، وإسماعيل الهزرجي القضاء، وموسى بن تمارا أمانة الجماعة، ومحمد ابن سليمان الإمامة في الفرائض عن إذن المهدي<sup>(1)</sup>، وأيوب الجدميوي تقسيم الإقطاع بين الموحدين في أيامهم الأولى<sup>(2)</sup>. وكلها وظائف تنفيذية. ولا ريب في أن بعض المسائل قد تستجد، ويقوى على تنفيذها رجل من خارج أهل الجماعة، فتسند إليه، الأمر الذي يفسر ظهور الروايات الفردية فيما يختص ببعض أهل الجماعة، إذ قد يجوز أن الراوية ظن المكلف من أهل الجماعة.

#### المجالس الاستشارية:

تجمع الروايات على أن الهيئة الاستشارية عند الموحدين هي «أهل خمسين» وينفرد اليسع بذكر «أهل سبعين»، وابن صاحب الصلاة بذكر «السبعة»<sup>(3)</sup>. ونفى ابن القطان وجود «أهل سبعين» وعلق على رواية اليسع قائلاً: «وأما ما ذكره اليسع من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحاً»<sup>(4)</sup>. وليس من السهل إسقاط روايتي اليسع وابن صاحب الصلاة إذ أن تبديلاً وتغييراً قد استحدثا في تنظيمات الموحدين بعد استقرار الدولة. وربما كان للهيئتين وجود بصورة ما لم تسعف الروايات التي بين أيدينا على توضيحه. وقد لا تعني وفرة المعلومات

(1) أخبار المهدي ص 33.

(2) المعجب ص 338.

(3) انظر أعلاه ص 65-66، ونظم الجمان ص 32-33، الحلل الموشية ص 89، وقد ذكر ابن الأثير والنويري وابن الخطيب - في رقم الحلل فيما نقله عنه الناصر السلاوي في الاستقصا - أهل سبعين، وأرجح أن ذلك عن اليسع على الرغم من أنهم لا يذكرونه. إن ابن الأثير عرف كتاب اليسع ونقل عنه رغم أنه لم يذكره، وقد عرف النويري كتاب اليسع عن طريق ابن خلكان ونقله من ابن الأثير (الكامل ج 10 ص 576، نهاية الإرب ص 195 الاستقصا ج 2 ص 96)، وقبل بعض الدارسين رواية اليسع دون مناقشة مثل جوليان وعلام (Julien; P.100)، الدعوة الموحدية بالمغرب ص 169.

(4) نظم الجمان ص 29.

- نسبياً - عن أهل خمسين إلا أن هذه الهيئة كانت هي وحدها المجلس الثابت الدائم الاجتماع، بينما تمثل الهيئتان «أهل سبعين» و «السبعة» اجتماع عدد مختار من كبار الموحدين في أمر خاص قليل الوقوع. ومناقشة قضية عدد أهل خمسين تساعد في إلقاء ضوء على هذه المسألة.

وضح فيما سبق من هذا الفصل أن أهل خمسين كانوا يمثلون القبائل المصمودية التي وحدث، وقد كان توحيدها في فترات مختلفة، وربما مثل بعضها بأشخاص قبل انضمام قبيلتهم. وطبيعة التكوين هذه تفرض عدم وجود عدد ثابت في جميع الأطوار. ويؤكد هذا الرأي أن أكثر من عشرة أشخاص أضيفوا إلى أهل خمسين بعد التمييز (524 / 1130)<sup>(1)</sup>.

إن اختلاف العدد باختلاف الظروف يفسر تباين الروايات عنه. وهناك روايتان عن عدد أهل الخمسين وأسمائهم. والروايتان لا تتفقان في الأمرين. وقد جاءت الرواية الأولى عن ابن صاحب الصلاة وأوردها ابن القطان<sup>(2)</sup>، والثانية عن صاحب كتاب الأنساب<sup>(3)</sup>، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن عدد أهل خمسين واحد وأربعون ولم يذكر إلا تسعة وثلاثين شخصاً. وتنبه ابن القطان إلى قصور عدده عن بلوغ الخمسين فعلق قائلاً: «وهم على هذا زهاء أربعين أو واحد وأربعين فأين تمام الخمسين. وعد (أي ابن صاحب الصلاة) السبعة الذين قال أنهم رجال مشورته ولعلمهم منتقون من الخمسين». ويبدو أن ابن القطان على حق فيما ما ذهب إليه، إذ أنه لم يرد ذكر لأحد من «السبعة» في شتى روايات أهل الجماعة، وعليه فهم هيئة غيرها. وقد تضمنت رواية كتاب الأنساب اثنين من السبعة الذين ذكرهم ابن صاحب الصلاة، الأمر الذي يدعو إلى القول بأن السبعة مجموعة منتقاة من أهل خمسين، ولا سيما وأن كلهم من هرة، وأهل تينملل وهنتانة، وهذه القبائل الثلاث نالت أكبر تمثيل في مجلس أهل

(1) أخبار المهدي ص 35.

(2) نظم الجمان ص 30 - 34.

(3) أخبار المهدي ص 33 - 35.



خمسين بالمقارنة ببقية القبائل<sup>(1)</sup>. وربما كان اجتماع هؤلاء السبعة في أمر لم يتطلب بقية أهل خمسين.

وعلى الرغم من ضم ابن القطان للسبعة على العدد الذي يذكره ابن صاحب الصلاة لم يظفر بالخمسين. فهل العشرة أهل الجماعة تمام العدد الذي يذكره ابن صاحب الصلاة؟

لم نجد في جميع المصادر التي رجعنا إليها إشارة تقود إلى مثل هذه النتيجة، والراجح أن أهل الجماعة هيئة مستقلة قائمة بذاتها ومختلفة عن أهل خمسين في طبيعتها ووظيفة أعضائها وما يمثلون.

ولم تسعف رواية كتاب الأنساب في حل لهذه القضية، فقد ذكر راويها خمسة وأربعين رجلاً عدا من أضيف إليهم بعد التمييز - وهم أكثر من عشرة رجال - وبنه في أسماء رجال هنتاة إلى أنه لم يقف على أسماء بعضهم. وعليه فالعدد الذي يذكره يزيد عن خمسين شخصاً.

وحاول عبد الله علي علام أن يخرجنا «من الحيرة التي وقع فيها المؤرخون على طول العصور»<sup>(2)</sup>، فقبل رواية ابن صاحب الصلاة، وليكمل العدد خمسين رجلاً، ذهب مذهب ابن القطان، وأضاف السبعة، ولما لم يبلغ الخمسين أضاف خمسة هم أهل الدار المهدي فيما رواه ابن صاحب الصلاة ونقله عنه ابن القطان، ولكنه لم يخرجنا من الحيرة فقد زاد العدد عن الخمسين، وقد يبلغ السبعين لأن أهل دار المهدي في رواية كتاب الأنساب عشرون رجلاً<sup>(3)</sup>.

(1) ذهب هوبكنز (Hopkins) إلى رأي مخالف لما وصلنا إليه هنا، فهو يرى أن السبعة قد لا يكونون من الخمسين، وربما لم يشر ابن صاحب الصلاة إلى ذلك لعلمه أن السبعة لم يكونوا من الخمسين (Hopkins p. 90)، للأسف الشديد أن الجزء الخاص بهذه الفترة من تاريخ المن بالإمامة قد ضاع، ورواية ابن صاحب الصلاة جاءت عن نقول الآخرين عنه، فربما لم يتنبه الناقلون لكلماته أو أن النسخة التي نقل عنها ابن القطان أصابها تحريف من النساخ وعليه لا نستطيع أن نستنتج من رواية مبتورة حكماً مثل الذي ذهب إليه هوبكنز.

(2) الدعوة الموحدية بالمغرب ص 32.

(3) أخبار المهدي ص 29 - 30.

وأغلب الظن أن «خمسين» لم تكن تعني عدداً وإنما هي اسم للهيئة ولا سيما وأن انضمام القبائل قد كان في فترات مختلفة وكان المهدي يضيف إليهم رجالاً في بعض الأوقات مثل الذي فعله بعد حركة التطهير. وهذه فرضية تجد دعماً من دراسة تنظيمات القبائل البربرية الحديثة إذ للقبيلة مجلس يسمى أيت أربعين وقد يكون أعضاؤه عشرة أو خمسة عشر رجلاً<sup>(1)</sup>.

إن فكرة اجتماع غير هيئة من هذه الهيئات في جلسة واحدة قد تعطي أساساً لما يرويه اليسع عن «أهل سبعين» فمن الجائز أن يطرأ أمر خطير يستدعي مشورة عدد كبير فيعمد المهدي إلى جمع أهل الجماعة وأهل خمسين وأهل داره في صعيد واحد، وربما كانوا يسمون مثل هذا الاجتماع «أهل سبعين» ولا سيما وأن عددهم يقرب من السبعين. ومن الجائز أيضاً أن اجتماعهم كان قليل الحصول فنسي الرواة أمركهم أو جهلهم أو تجاهلهم. ولا ريب في أن المجلس الوحيد الذي عمل، وعمل بفعالية مستمرة، هو مجلس أهل خمسين.

أن الروائتين اللتين وصلتا عن أهل خمسين تتفقان في مجموعاتهم، وتكادان أن تتفقا في ترتيبهم، لولا أن ابن صاحب الصلاة يقدم في ترتيبه «القبائل» على صنهاجة. وقبائل الموحدين التي مثلت في المجلس هي: هرغة وأهل تينمل وهنتاة وكوميوة وكنفيسة وصنهاجة والقبائل وهسكورة. إن المجموعات التي شكلت المجلس تثير تساؤلين:

أولاً: هل أراد ابن تومرت أن يجعل هذه الهيئة وفقاً على قبائل المصامدة؟ من الواضح أن كل هذه المجموعات كانت مصمودية الأصل. وصنهاجة وهسكورة لم يوحداهما في حياة ابن تومرت، ولا ريب في أن تمثيلهما كان بأفراد قبل دخولهما في دعوة الموحدين، ولو قصد ابن تومرت أن يمثل في المجلس جميع القبائل المغربية لأدخل عناصر منها المجلس كما فعل مع صنهاجة وهسكورة، ولا سيما وأن أفراداً من القبائل الأخرى قد وحدوا بصفة فردية. ويبدو أن هذا الاتجاه كان يمثل خطته في البداية فأخى بين العناصر المتميزة من غير المصامدة

(1) أنظر Hopkins; P. 90, Huici; v. 1, p. 103 ومصدرهما في ذلك.



مع قبيلته هرغة، ولكنه عدل عن هذا الاتجاه فيما بعد إذ يذكر ابن صاحب الصلاة في روايته خمسة غرباء فيهم واحد من لمطة وثان من زناتة وثالث من كزولة. وهذا تعديل يسير لا يجوز تعميم حكم منه. والراجح أن ابن تومرت أخضع تنظيماته لظروف الواقع إذ كان يهدف في البداية إلى كسب المصامدة ومن ثم ينطلق بدعوته نحو الآخرين، وهذا ما يفسر غلبة المصامدة على مجلس أهل خمسين وتمثيل بعض قبائلهم بأفراد رغم أنها لم توحد.

ثانياً: هل حاول ابن تومرت أن يذيب القبيلة في إطار أوسع؟ بين مجموعات أهل خمسين مجموعتان تتخطى كل منهما حدود القبيلة الواحدة، وهما: أهل تينملل والقبائل. وأهل تينملل ليسوا قبيلة بل مجموعات قبلية جمعها اسم الموضع الذي سكنته وهو تينملل<sup>(1)</sup>. وأما القبائل فهي لفظة أطلقها الموحدون على قبائل المصامدة التي قطنت حول مراكش وهي: هزميرة وهيلانة المزوجة<sup>(2)</sup>. وتكوين مجموعة أهل تينملل ربما كان قبل المهدي<sup>(3)</sup> أما مجموعة القبائل فهي من ابتكار ابن تومرت وقد أطلق الموحدون الاسم. إن جذور الاتجاه نحو توسيع إطار القبيلة قد يكون موجوداً قبل المهدي، ولكن ابن تومرت أراد أن يعمقه، وفكرة تكوين أهل خمسين نفسها إنما هي محاولة لربط القبائل في تنظيم أكبر.

بقي توضيح قوة تمثيل القبائل في مجلس أهل خمسين. من الروايتين اللتين وصلتا عن أهل خمسين يستطيع المرء أن يستخرج ثلاث صور لهذا التمثيل: الأولى عن ابن صاحب الصلاة والثانية عن كتاب الأنساب قبل التمييز والثالثة عن كتاب الأنساب بعد التمييز، وإليك البيان الآتي:

(1) المعجب ص 340.

(2) المصدر ذاته ص 341 غير أن كتاب الأنساب يعدد ثمانية أفخاذ لا يذكر فيها هزميرة أو مزوجة (أخبار المهدي ص 43) وباستعماله لكلمة «فخذ» يدعو إلى الظن أنه اعتبرهم قبيلة واحدة وهذا ما تنفيه رواية المراكشي.

(3) Hopkins; p. 89.

المجموعة	هرغة	أهل تينملل	هنتاتة	كديومة	كنيسة	صهاجة	القبائل	مذكورة
كتاب الأنساب قبل التمييز	8	19	2 ?	4	4	3	1	4
كتاب الأنساب بعد التمييز	8	21	8 ?	4	5	3	1	4
ابن صاحب الصلاة	6	14	3	2	4	3	1	3

لكيما تكتمل الصورة التي تستخرج من هذا البيان يجب وضع الحقائق الآتية في الاعتبار:

(1) أن أربعة أشخاص من ممثلي هرغة لم يكونوا من صلب القبيلة وإنما هم ممن آخى المهدي بينهم وبين قبيلته<sup>(1)</sup>.

(2) نسي صاحب كتاب الأنساب بعض رجال من هنتاتة وقد أشار إلى ذلك.

(3) المستدركون بعد التمييز كانوا أكثر من عشرة رجال، وذكر صاحب كتاب الأنساب أسماء تسعة أشخاص ثم قال: «وأبناء أبي عمران موسى بن بركان من جهة الأم». ولم يذكر أسماءهم، فوضعنا علامة استفهام مع عدد هنتاتة بعد التمييز، لأن أبا عمران من مزالة ومزالة من هنتاتة.

(4) لم يشمل الإحصاء الذي أورده ابن صاحب الصلاة الغرباء الخمسة الذين يذكروهم، وبينهم اثنان يصنفهم كتاب الأنساب بين هرغة، وعليه يكون العدد الذي يذكروه عن هرغة مساوياً لما تذكره رواية كتاب الأنساب قبل التمييز وبعده.

(1) راجع: أخبار المهدي ص 34، 39، 40.



ومن هذا البيان يستنتج أن رواية كتاب الأنساب قبل التمييز تتفق مع رواية ابن صاحب الصلاة من حيث قوة تمثيل القبائل، وواضح أن أعلى نسبة كانت لأهل تينملل فهرغة فكثفيسة... إلخ. ولكن ابن صاحب الصلاة لا يذكر من استدرك بعد التمييز حيث انقلبت النسب فصار الترتيب حسب قوة التمثيل: أهل تينملل نهنتاة فهرغة فكثفيسة... إلخ. وواضح أن أهل تينملل وهنتاة كانوا يتمتعون بنفوذ عظيم في المجلس، ويبدو أنهم ارتبطوا في تحالف منذ أيام الثورة الأولى، واتضح هذا التحالف بصورة بارزة أيام الانحلال.

إذا وضع عدد المجالس وطبيعة تكوينه فما هو اختصاصه؟ يزعم ابن الخطيب في رقم الحلل فيما نقله الناصري السلاوي<sup>(1)</sup> أن «أهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقي». وهذا قول لم يرد ما يؤيده في الروايات المعاصرة لفترة الموحدين، وفيه خلط كثير إذ أن تنظيم الحفاظ لم يتكون في فترة المهدي، وتقديم الحفاظ على الطلبة في روايته ينبئ عن الإشارة لفترة متأخرة.

يؤكد ابن القطان<sup>(2)</sup> وصاحب روض القرطاس<sup>(3)</sup> أن أهل خمسين كانوا أصحاب مشورة المهدي وهذا ما يفهم من رواية اليسع<sup>(4)</sup> أيضاً إذ يقول «وكانوا (أي الموحدين) إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بال عشرة لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلاً، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضى الله تعالى عنه».

واستشارة القبائل جعلتها أكثر ارتباطاً بصاحب الدعوة، فسمعت منه وأطاعت له، الأمر الذي يدل على أن ابن تومرت كان عالماً بطروف بيته القبلية ومن هذا العلم أسس تنظيماته.

(1) الاستقصا ج 2 ص 96.

(2) نظم الجمان ص 75.

(3) روض القرطاس ص 114.

(4) نظم الجمان ص 81.

#### الطلبة:

الروايات لا توضح من أين أخذ ابن تومرت اسم الطلبة الذي أطلقه على الدعاة، ويبدو أن الكلمة كانت مستعملة قبله إذ يروي ابن عذاري أن الطلبة والفقهاء أول من خرج من أهل تلمسان يتضرع إلى عبد المؤمن لما فتحها<sup>(1)</sup>، وربما أخذ ابن تومرت تلك الكلمة وتوسع في معناها لتشمل الدعاة الذين أخذوا العلم منه وتلقوا التربية على يديه.

ويبدو أن عدد الطلبة كان كبيراً في حياة المهدي، فقد وجه في سنة 516 / 1121 منهم جماعة وافرة إلى السوس<sup>(2)</sup>، وهذا أمر لا يستغرب، إذ أن المهدي خلال رحلته راجعاً من المشرق كان يحرص على تدريس العلم، ولما نزل مراكش كثر محبوه<sup>(3)</sup>، فأخذوا عنه وتلقوا منه، وعندما وصل إيجيليز كان يشتغل بتدريس العلم عاماً كاملاً قبل أن يعلن مهديته، ولا ريب في أنه كان يتنخل جماعات آمنت بأفكاره واقتنعت بطريقته وعملت بنهجه فرباها تربية خاصة ثم بثها بين القبائل تدعو إلى أمره، فكان نشر الدعوة بين القبائل دأبها وإذاعتها في الناس غايتها، ومن قتل من هؤلاء الطلبة حسب شهيداً فانتمى لإخوانه له<sup>(4)</sup> وكان إرسال الدعاة عملاً مستمراً وخطة متصلة وهذا يفسر اختلاف الروايات في تاريخ إرسالهم<sup>(5)</sup>.

ويصور صاحب روض القرطاس أسلوب الدعاة فيقول: «وكانوا يدعون الناس إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد والتحري وإظهار الكرامات»<sup>(6)</sup> وقد نجحوا نجاحاً عظيماً، ونتيجة لسعيهم وبفضل من

(1) البيان المغرب ج 3 ص 18.

(2) نظم الجمان ص 87.

(3) يقدر صاحب روض القرطاس من صحب ابن تومرت في مراكش بألف وخمسمائة رجل (روض القرطاس ص 113).

(4) أنظر انتقام المهدي لأبي محمد عطية لما غدرت به عجدامة في نظم الجمان ص 93.

(5) راجع أخبار المهدي ص 132 ونظم الجمان ص 87، 93.

(6) روض القرطاس ص 113، الاستقصا ج 2 ص 92.



جهدهم وحدت كدمية الجبل وهزيمة الجبل وكثفيسة الجبل، ولم توحد هتاتة إلا بتأثير مما سمع زعماءها عن الإمام المهدي وأفكاره<sup>(1)</sup>.

«وأغلب الظن أن هؤلاء الطلبة كانوا يشتركون في الحملات العسكرية، بقول البيهقي في معرض حديثه عن رجوع الجيش المنهزم من البحيرة بقيادة عبد المؤمن «وجاز الخليفة مع طلبة أغمات على هيلانة»<sup>(2)</sup>.

الكافة:

إن عامة الموحدين الذين لم يختصهم المهدي بمهام معينة مثل ما فعل مع أهل الجماعة وأهل خمسين والطلبة، لم يتركوا دون تنظيم يلهم شتاتهم، فقد نظموا بحسب قبائلهم فجعل ابن تومرت القبيلة وحدة سياسية ثم «جعل على كل عشرة نقيباً»<sup>(3)</sup>. وليتأكد من انضباطهم كان يعرضهم بين الفينة والفينة. وكان لكل صنف من أصناف الموحدين رتبة لا يتعداها في سفر أو حضر<sup>(4)</sup>.

وهكذا استطاع المهدي أن يحدث نظاماً متسلسلاً في طبقاته، محدداً في وظائف أعضائه، فأهل الجماعة للإشراف على التنفيذ وأهل خمسين وأهل سبعين والسبعة للمشورة، والطلبة للدعوة والكل مع العامة في الجندية سواء فسمعوا وأطاعوا<sup>(5)</sup>. ومن هنا تبرز أهمية التربية في تهئية العاملين في تلك التنظيمات.

التربية:

إن تناسق الأجهزة التنظيمية وأحكام بنائها يساعد التنظيم في اكتساب فعاليتها، ولكن القدرة على الحركة رهينة بنوعية الإنسان الذي يضمه ذلك

التنظيم. فالإنسان الذي يعي كبر المهمة الملقة على عاتقه، وعظم المسؤولية المطلوبة منه، ويدرك مقدار التحدي الذي يواجهه، أقدر من غيره على الحركة، لأنه يعرف ماذا يريد وكيف يريد ومتى يريد، فيقوم بنصيبه من السعي وقسطه من التبعة. وقد تبين ابن تومرت هذا الارتباط بين التنظيم والإنسان، فأولى تربية أتباعه عناية فائقة فباشرها بنفسه وبأعيان أصحابه<sup>(1)</sup>. وقد استطاع ابن تومرت أن يخلق عزلة شعورية بين الموحدين ومجتمعه. وهذه العزلة هي السبب الأساسي في الترابط بين الموحدين وفي العنف الذي واجهوا به الآخرين. وهذا الترابط الداخلي وذلك العنف الخارجي يسرا السمع والطاعة داخل تنظيمات الموحدين. ومن هنا كان هذا التلاحم بين عمليات التربية والتنظيمات. وأية دراسة لتربية الموحدين لا تهدف إلى دراسة هذه العزلة الشعورية تأتي ناقصة ومبتورة. وقد كانت العزلة الشعورية عند الموحدين نتيجة لثلاثة عوامل:

١ - أفكار ابن تومرت.

٢ - منابع التلقي التي سمح بها.

٣ - منهج التلقي الذي اتبعه.

أفكار ابن تومرت:

إن غاية الحياة عند ابن تومرت هي توحيد الله وعبادته<sup>(2)</sup>، والتوحيد مقدم على العبادة إذ لا تقوم العبادة إلا به<sup>(3)</sup>، وهو أول ما يجب تحصيله<sup>(4)</sup>. والعلم بهذا المفهوم هو سبب الهداية إلى كل خير، وهو «أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل»<sup>(5)</sup>؛ ولهذا كان التوحيد جوهر حركته في مجالها

(1) نظم الجمان ص 27، الحلل الموشية ص 90.

(2) أعز ما يطلب ص 277.

(3) المصدر ذاته ص 220 - 221.

(4) المصدر ذاته ص 229 وما بعدها.

(5) المصدر ذاته ص 2.



الديني والسياسي. وكانت فكرته التوحيدية السبب الأساسي في العزلة الشعورية التي ذكرناها فلا بد من أن نقف عندها وأن نحدد معالمها.

يقول أكثر المؤرخين بأشعرية مذهب ابن تومرت في التوحيد<sup>(1)</sup>. ويضيف المراكشي إلى ذلك قوله: «إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يظن شيئاً من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء». ولا يشير ابن خلدون إلى معتزلية ابن تومرت ولكنه يحدد لنا الأثر الشيعي فيقول: «وكان على رأي الإمامية من الشيعة في العصمة». ووضعه فقهاء المرابطين بين الخوارج<sup>(2)</sup>. ويرى تراس أن عقيدة ابن تومرت متنوعة وعلى الأقل قد أخذ ابن تومرت عن مبادئ الأشعرية والغزالي والشيعة<sup>(3)</sup>. فهل صور المؤرخون والدارسون عقيدة ابن تومرت تصويراً حقيقياً؟

إن الأثر الأشعري واضح عند ابن تومرت فيما اتخذ من حجج عقلية للذب عن العقائد الدينية وواضح فيما ذهب إليه من تأويل المتشابه<sup>(4)</sup>.

ويصعب التسليم بما رواه المراكشي عن معتزلية ابن تومرت. لقد استدل المراكشي عليها بنفي ابن تومرت للصفات، وهذا رأي لم يذهب ابن تومرت إليه، بل ذهب ابن تومرت مذهباً مغايراً للمعتزلة في الصفات، فهو لا يثبتها ولا ينفيها، ولم ترد لفظة صفات عنده، بل يقتصر على أسماء الله الحسنى ويقول<sup>(5)</sup> «... ولا يسمى إلا بما سمي به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه، لا يجوز القياس والاشتقاق والاصطلاح في أسمائه... وليس للمخلوق أن يتحكم على خالقه فيسميه بما لم يسم به نفسه في كتابه، ما نفاه عن نفسه في كتابه نفاه عنه

(1) المعجب ص 188، العبر ج 6 ص 466.

(2) أخبار المهدي ص 77، الحلل الموشية ص 90 وقد ذهب ابن الخطيب إلى رأيهم فيما نقله عنه الناصري السلاوي عن رقم الحلل، استقصا ج 2 ص 95.

(3) Terrasse; p. 268

(4) أعز ما يطلب ص 232 وما بعدها.

(5) المصدر ذاته ص 237.

وما أثبتته لنفسه أثبتته له من غير تبديل ولا تشبيه ولا تكيف. يسميه بأسمائه الحسنى ويدعوه بها كما قال تبارك وتعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾<sup>(1)</sup>.

وقد تنبه جوليان إلى هروب ابن تومرت عن الصفات الإلهية وحصره قضيتها في الكتاب والسنة<sup>(2)</sup>. وكان ابن تومرت في رأيه عن الصفات الإلهية ينكر على المعتزلة والأشعرية مجرد ذكرهم للصفات فضلاً عن بحثها. وهذا المذهب نفسه مذهب ابن حزم مما يحمل على الظن بأن بعض أفكار ابن حزم وجدت طريقها إلى فكر ابن تومرت في التوحيد.

وأكثر ما يباعد بين ابن تومرت والمعتزلة رأيه في التسيير والعدل الإلهي فهو يقول عن الإنسان «كل ميسر لما خلق له وكل منتظر لما قدر له»<sup>(3)</sup>. ويقول عن الله «يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء، يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ليس عليه حق ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»<sup>(4)</sup>.

وأما الأثر الشيعي فقد أصاب ابن خلدون فيه إذ حصره في العصمة، لأن ابن تومرت يجعل الإمامة ركناً من أركان الدين ويوجب على الكافة الاعتقاد فيها<sup>(5)</sup>، والعصمة من أهم أركان الإمامة. ولا يخفى أثر هذا الاعتقاد في تركيز تعلق الأتباع بإمامهم.

وأما القول بغلبة نزعة خارجية على أفكاره فهو من زعم فقهاء المرابطين أو من أخذ عنهم. فالخوارج لم يشترطوا النسب القرشي في الخلافة، وابن تومرت وخلفاؤه ادعوا نسباً قرشياً، فلو كان ابن تومرت يرى رأي الخوارج لما كان في

(1) سورة 7 آية 180.

(2) Julien p. 95

(3) أعز ما يطلب ص 236.

(4) أعز ما يطلب ص 237، 242 والخط تحت عبارة، فكل... من وضعنا.

(5) المصدر ذاته ص 245.



حاجة إلى ذلك الادعاء، ولدافع عن معتقده بما أوتي من صلابة الجدل، ودقة النظر واتساع المعرفة. ويبدو أن القضية كانت للاستغلال السياسي، فرماه فقهاء المرابطين بهذه الفرية لما قامت ثورته واشتد ساعدها، ولم يرد أنهم قالوها مثل هذا القول لما ناظرهم ابن تومرت بحضرة سلطانهم في مراكش ولما جاء من المشرق، ويومها لم يكن ابن تومرت ثائراً ولا طالباً لسلطان. وربما ساعدهم على ذلك القول مشابهة أفكار ابن تومرت لبعض مبادئ الخوارج مثل تشدده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلزام كل فرد به وتكفيره لمخالفه في الرأي.

من كل ما سبق نستطيع أن نقول أن ابن تومرت لم يتبع مذهباً توحيدياً من المذاهب التي سبقت، فقد أخذ عن بعض المذاهب مسائل وخالفها في أخرى، وجاءت أفكاره في التوحيد متنوعة فيها أثر أشعري وفكر شيعي وأثر حزمي. وقد ساهمت هذه العقيدة التوحيدية التومرتية في خلق العزلة الشعورية بين الموحدين وغيرهم - وقد كان الغير هم كل الناس على اختلاف مذاهبهم ونحلهم وأعمارهم وأجناسهم وأوضاعهم. لقد كفر ابن تومرت كل من لا يؤمن بعقيدته ولم يستثن من ذلك كبيراً أو صغيراً، حراً أو عبداً، ذكراً أو أنثى<sup>(1)</sup>. ويقول صاحب روض القرطاس «ومن لم يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته»<sup>(2)</sup>. فالقى في روع أصحابه أنهم المؤمنون حقاً وسواهم الكافرون والمبطلون والمجسمون. وانقسم المجتمع إلى «مؤمنين» و«كافرين»، «موحدين» و«مجسمين». وشن هجوماً عنيفاً على المجتمع كله بقياداته السياسية المتمثلة في أمراء المرابطين، وقياداته الفكرية المتجسدة في الفقهاء والعلماء، وأوضاعه الاجتماعية المتجلية في أحوال النساء والعادات والتقاليد. ووصف أهل ذلك المجتمع بأوصاف نفرت من يوحد منهم تنفيراً، فهم المبطلون والمجسمون والحشم والملثمون والزراجنة<sup>(3)</sup>.

(1) أعز ما يطلب ص 245.

(2) روض القرطاس ص 114.

(3) أعز ما يطلب ص 258-262، 290، 296، نظم الجمان ص 42، 46، 85.

وأكد في نفوس أتباعه النفور من المجتمع بتركيزه على غربة الإسلام وغربة الفئة التي تقاثل على الحق<sup>(1)</sup>. وكان على من يوحد أن يخلع ماضيه، ويعيش إنساناً جديداً، إذ أن التوحيد يهدم ما كان قبله من الآثام<sup>(2)</sup>، وقد كانت حياته كلها آثاماً، لأنها لم تكن قائمة على التوحيد الخالص.

وكان على من يوحد أن يستعلي على قيم المجتمع الذي خرج منه، وأن يتميز عنه حتى في ملبسه<sup>(3)</sup>، وأن يجاهد أهله ويقاثلهم حتى يخلصوا عبادتهم لله وحده<sup>(4)</sup>. وهنا تجب عليه الهجرة منه والفرار عنه والانضمام إلى إخوته المؤمنين<sup>(5)</sup>، لأن «الموالة والمعاداة واجبة في الدين وأن الهجرة من بين الأعداء إلى الله ورسوله واجبة على جميع العباد وأن الخروج من الديار والأموال إلى الدين لا يسقط عن أحد بوجه ولا بسبب وأن القيام بأمر الله واجب وأنه على الفور لا يجوز فيه التأخير وأن مراعاة القيام بأمر الله أولى من مراعاة إراقة الدماء وذهاب النفوس والأموال...»<sup>(6)</sup>.

ولا ريب في أن هذه التعاليم نفرت «الموحد» عن مجتمعه، وعزلته عنه وجعلته أكثر ارتباطاً بإخوته الموحدين، فلم يجد من ملجأ إلا إليهم، فتآخوا وتآلفوا، وسمعوا وأطاعوا.

#### منابع التلقي:

ولقد كرست منابع التلقي - التي سمح ابن تومرت بها - هذه العزلة الشعورية فزادت في التصاق الموحدين ببعضهم، ولقد حصر المهدي منابع العلم في القرآن والسنة. والإمام في هذه وسواها من أمور الدين والدنيا هو

(1) أعز ما يطلب ص 266 وما بعدها.

(2) المصدر ذاته ص 276 وما بعدها.

(3) أعز ما يطلب ص 263.

(4) المصدر ذاته ص 265، نظم الجمان ص 47 وما بعدها.

(5) أعز ما يطلب ص 261، 264.

(6) المصدر ذاته ص 256.



المرجوع إليه في القليل والكثير، الحقيق والجليل، لأن الإمامة تعني الاتباع والافتداء والسمع والطاعة، وامتنال الأمر واجتناب النهي، والأخذ بسنة الإمام<sup>(1)</sup> المعصوم من الباطل<sup>(2)</sup>. وطاعة الإمام طاعة لله والرسول، وتعظيم حرمانه تعظيم لحرمانهما، ومرضاته مرضاة لهما<sup>(3)</sup>. ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا كافر<sup>(4)</sup> وهكذا خلع ولاء أتباعه عن كل شيء إلا له هو. ولا غرابة بعد هذا لو تحرك التنظيم الهرمي بإشارة من رجل واحد. ولا عجب بعد ذلك أن نهى ابن تومرت عن التقليد وقراءة كتب الرأي<sup>(5)</sup> إذ لا تقليد إلا للإمام ولا رأي إلا له.

وفي سبيل تأكيد إمامته وعصمته لم يجد بأساً من انتحال الخوارق والكرامات تفسيراً للمطائبات التي ألمت بالموحدين في بداية أمرهم أو تمهيداً «مرآت»<sup>(6)</sup>.

#### منهج التلقي:

إن العلم الذي نوه ابن تومرت بفضله، وحض على أخذه وجعله أساس الإيمان لم يكن بقصد الثقافة والاطلاع ولا بقصد التذوق والإمتاع ولكنه تلق للتنفيذ ومعرفة منشئة للعمل. إن الموحد يتلقى عن الإمام الأمر في خاصة نفسه وبشأن الجماعة التي يعيش فيها ليطبق ما يلقي عليه<sup>(7)</sup>. وهذا الارتباط بين العلم والعمل من أهم مميزات تربية ابن تومرت لأتباعه.

ولقد واطب ابن تومرت على هذا المنهج في التربية منذ أن وطئت قدماء أرض المغرب قادمين من المشرق، وكان يحرص على تدريس «العلم» أينما حل

(1) أعز ما يطلب ص 247، 253 - 254.

(2) المصدر ذاته ص 245.

(3) المصدر ذاته ص 252.

(4) المصدر ذاته ص 254.

(5) نظم الجمان ص 38.

(6) أنظر بعض خير ذلك في نظم الجمان ص 84، 103، الاستقصا ج 2 ص 96.

(7) أنظر نظم الجمان ص 27، 127، الحلل الموشية، 89 - 90.

وارتحل. وهذا العلم قد لا يعني سوى مذهبه التوحيدي<sup>(1)</sup>، ولا سيما وأن ابن القطان يسمي التوحيد الذي درسه ابن تومرت بإيجليز بالعلم<sup>(2)</sup>. ولما نزل بلاد هرغة واصل تدريس مذهبه في التوحيد<sup>(3)</sup>، وبعد أن أعلن مهادته ألف كتبه ودرسها<sup>(4)</sup>. ودوام على وعظ الموحدين وإرشادهم وتعليمهم طوال حياته ولم تشغله حروبه مع المرابطين عن ذلك<sup>(5)</sup>.

ولما كان العمل هو الهدف من العلم، فقد كان المهدي حريصاً على إفهام أتباعه فاستعمل اللسانين البربري والعربي في تواليه ومواعظه<sup>(6)</sup>. ويبدو أن التدريس كان بحسب القدرات والقابليات والمهام المنتظرة من المتعلم، فبينما يطلب من البعض قراءة وحفظ أم الكتاب وتشق عليه حتى توضع كلماتها على أسماء بعض الأشخاص تيسيراً لحفظها<sup>(7)</sup>، يظهر البشير الوانشرشي فجأة وبدون مقدمات وقد حفظ القرآن وأتقن العلم، لتكون هذا الظاهرة كرامة من الكرامات وتغدو مؤهله لتمييز المؤمنين من المنافقين<sup>(8)</sup>.

ويروي لنا اليسع أسلوه في أخذ الموحدين بالتربية العملية فيقول «وكان [المهدي] يعظهم في كل وقت ويذكرهم، ومن لم يحضر أدب فإن تمادى قتل،

(1) الدعوة الموحدية بالمغرب ص 108.

(2) نظم الجمان ص 23.

(3) الممجب ص 187.

(4) أعز ما يطلب ص 3، الممجب 188، الحلل الموشية ص 89 - 90 وقد نبه بعض الدارسين إلى أهمية دراسة تطور ابن تومرت الفكري ومعرفة مراحل. توصل كنون إلى أن فكرة الإمامة قد طرأت على أفكاره مؤخراً وبعد أن اضطر لمقاتلة المرابطين، ونحن لانستطيع أن نذهب هذا المذهب لأن الفكرتين الدينية والسياسية عند ابن تومرت متداخلتان ومتلازمتان، وربما كانت السياسة أغلب والدينية إحدى وسائلها (أنظر مقالة عبد الله كنون عن «عقيدة المرشدة» في مجلة البحث العلمي (1966) العدد التاسع ص 175 - 185).

(5) نظم الجمان ص 23، 94.

(6) الممجب 187، روض القرطاس 114.

(7) روض القرطاس ص 118 - 119، استقصا ج 2 ص 92.

(8) أنظر قصته في نظم الجمان ص 102 - 103.



وكان من لم يحفظ حزبه عزّز بالسياط، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسياط المرة والمرتين فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل... (1). وهذا المنهج خرج جيلاً طيعاً للإمام، يسمع في المنشط والمكروه ويبدو أن هذه الطاعة كانت الهدف الأساسي، فكان المهدي يقتل من يخاف عصيانه، أو يخشى عناده، حتى ولو جاء ذلك في صورة جماعية، مثل مذبحه هزيمة (2) وحركة التطهير التي قام بها البشير (3). فأسلس الأتباع القياد رهبة ورغبة، «وبلغوا في ذلك إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء...» (4).

وقد قامت التربية بدور فعال إذ وفرت جماعتين من الناس: جماعة آمنت بالفكرة ووعت مهمتها وسعت لتنفيذها فأطاعت عن رغبة، وجماعة أطاعت طاعة عمياء رهبة من العقاب. وفي الحالين كان إنسان تنظيمات الموحدين يتحرك وفق إرادة المنظمين له. وهكذا توفر لتنظيمات الموحدين شرطاً التنظيم المتحرك. القادر: الأجهزة المحكمة والإنسان المتحرك.

#### الروافد التي تأثر بها الموحدون في التنظيمات:

من الصعوبة بمكان القول بأن ابن تومرت أقام تنظيمات الموحدين على غرار تنظيمات سبقت، ولكن تنظيمه قد تأثر بعوامل مختلفة، منها الفكري والثقافي ومنها ما أخذه عن تجارب الآخرين فحوّره وبدله ليلئم ظروف مجتمعه وأوضاع ثورته، ولهذا جاء تنظيمه متمشياً مع أفكاره مراعيّاً لظروف بيئته.

#### الأثر الفكري:

كانت فكرة ابن تومرت دينية، وقد كان الإسلام لحمتها وسداها، ووجد في الرسول ﷺ مثلاً أعلى، فاحتذى خطواته وقلد أفعاله، وقلد نظام النبي ﷺ في

(1) نظم الجمان ص 29

(2) نظم الجمان ص 94

(3) المصدر ذاته ص 103، الكامل ج 10 ص 572، نهاية الأرب ص 191 - 192.

(4) المعجب ص 191.

الشورى. وقد أشار جوليان إلى شيء من هذا غير أنه يخطئ فيقول أن المهدي قلّد النبي في نظام شوره حذو القدة بالقدة، وما أهل خمسين وأهل سبعين إلا تقليد لهيئتي المهاجرين والأنصار (1)، والمقارنة مستحيلة بين هيئات ابن تومرت وهيئات المهاجرين والأنصار، إذ أن أهل خمسين لم يكونوا من قبيلة واحدة، ولم يهاجروا كلهم مع ابن تومرت، وفيهم من هاجر إليه المهدي مثل أهل تينملل أما أهل سبعين فلم يكونوا إلا اجتماع هيئات متعددة. والصواب أن ابن تومرت تأثر بفكرة النبي ﷺ في الشورى وصاغها في نظام يتلاءم وظروفه الخاصة فجاء تنظيمه في شكله العام محتدياً سيرة الرسول، وربما كانت فكرة السبعين قد جاءت عن السبعين الذين بايعوا النبي يوم العقبة، والعشرة عن العشرة المبشرين بالجنة، والطلبة عن القراء، واختار النقباء عن اختيار النبي لنقبائه، ولكن ابن تومرت صاغ نظام النبي في شكل جديد يتلاءم وظروفه الخاصة فجاء في شكله العام قريباً من تنظيمات النبي محتفظاً بسماتها مختلفاً عنها في اختصاصاتها. وقد كانت تنظيمات النبي عفوية ربانية وأما تنظيمات ابن تومرت فقد قامت بعد دراسة وتخطيط بشري.

#### الأثر الثقافي:

تميز ابن تومرت بمقدرة علمية اتسمت بالتحليل والتنظيم والتبويب والتقسيم للمسائل العلمية، وأكسبته هذه المقدرة انتظاماً عقلياً يظهر بوضوح في إنتاجه الفكري. ولا ريب في أن هذا الانتظام أثر في تكوين تنظيماته فجاءت دقيقة في اختصاصاتها مترابطة في تسلسلها، متداخلة في أعمالها من غير تضارب (2).

(1) Julien, 100.

(2) ذهب هويسى إلى مثل هذا الرأي. Huici; v. 1, p 100.



### تنظيمات القبائل المغربية:

سبقت الإشارة إلى أن هيئة أهل خمسين قد لا تعني أكثر من توسيع فكرة آيت أربعين في تنظيمات القبائل البربرية<sup>(1)</sup>، مما يحمل على القول بأن ابن تومرت استفاد من التنظيمات التي وجدها في مجتمعه، ولكنه لم ينقلها كما هي، بل بدلها وغيرها لتوافق الأفكار التي دعا إليها. إن التنظيم الاستشاري أصبح عنده يجمع عدة قبائل الأمر الذي يسر تلاحم القبائل التي وحدث وتربطها. وأهل خمسين خير مثل لتطبيق فكرة الشورى على مجتمع مختلف عن مجتمع النبي ﷺ.

### التنظيم الفاطمي:

لقد اشتهر الغلاة من الشيعة بتنظيماتهم الدقيقة وبنائهم المحكم. ولقد عرف المغرب الفاطميين منهم، إذ كان مهد دولتهم ومنها انطلقوا. ولم تكن معرفة ابن تومرت للفاطميين عن طريق ما خلفوا من أثر في المغرب فحسب، بل إنه قد رحل إلى المشرق وجال في ديار الفاطميين. ولا تسعف المصادر بكثير من المعلومات عن حياة ابن تومرت الأولى، ولكن يغلب على الظن بأن ابن تومرت - في ديار الفاطميين - كان يتتبع أخبار تنظيماتهم، ولا سيما وأن الرجل كان يتهيأ للقيادة والإمامة والزعامة. ولا يمكن القطع برأي فصل في نوعية الأثر الفاطمي في تنظيمات الموحدين ولكن تبني ابن تومرت لفكرة الإمامة، والعصمة ركن من أركانها، وانتهاج التربية الخاصة وسيلة لتغيير المجتمع أمران يرجحان أن تنظيمات الموحدين تأثرت إلى درجة ما - لا نستطيع أن نحدد مداها - بالتنظيمات الفاطمية.

### التغييرات التي طرأت بعد قيام الدولة:

ينبغي التفريق بين مرحلتين في حياة الموحدين السياسة بعد وفاة المهدي: أولاً: مرحلة تأسيس الدولة، ثانياً: مرحلة بناء الدولة. إن المرحلة الأولى هي استمرار لحياة ابن تومرت السياسة، فواصل خلفه عبد المؤمن قتال المرابطين حتى أسقط دولتهم، والمرحلة الثانية هي طور بناء الدولة وتكوين نظمها، وفي بداية هذه المرحلة نقل عبد المؤمن الحكم إلى أسرته، والمرحلتان مختلفتان في ظروفهما، ومن ثم فإن الصيغ التنظيمية التي صلحت للأولى ليست بالضرورة صالحة للثانية، فمن الطبيعي أن تشهد تنظيمات الموحدين تبديلاً وتغييراً في هيكل تنظيمها وفي مهام مؤسساتها.

### هيئة أشياخ الموحدين:

بعد وفاة المهدي لم يرد ذكر أهل الجماعة وأهل خمسين في مجال الحياة العملي إلا ما كان من أمر بيعتهم لعبد المؤمن<sup>(1)</sup>. فهل قضى عبد المؤمن على الهيئتين لما تولى الأمر؟

لقد واجه عبد المؤمن ظروفاً شاقة وعسيرة، وما أن توفي المهدي حتى اضطرب وضع الموحدين واختلّفوا في أمر من يخلفه<sup>(2)</sup>، واشتدت عليهم حملات المرابطين. فكان على عبد المؤمن أن يواجه ذلك الضعف الداخلي وهذا الخطر الخارجي، واشتغل بحرب المرابطين حتى قضى عليهم، ثم واجه ثورات القبائل البربرية التي أغراها النصر الموحدي فحاولت أن تقلده. هذا فضلاً عما تمتع به بقية أهل الجماعة من نفوذ وسلطان اعتماداً على أقوال ابن تومرت. فقد قتل محمد بن أبي بكر بن يكيث أخاً لعبد المؤمن يدعى إبراهيم، وأراد عبد المؤمن قتل محمد، لكن الشيخ عمر الهنتاتي وأبا الحسن بوكرت بن وَاكَاك منعاه لأن محمداً ابن أحد أهل الجماعة، واحتجوا بقول المهدي «إن أهل

(1) الحلل الموشية ص 118.

(2) الكامل ج 10 ص 578، روض القرطاس ص 116 - 117، 119.

(1) Julien; P. 100; Hopkins; P. 90; Huici; V. I, PP 100 - 103.



الجماعة وصبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا<sup>(1)</sup>. وعليه كانت ظروف عبد المؤمن حتى 543 / 1148 تتطلب تضافر جهود الموحدين وتستدعي ترابطهم. فمن المستبعد أن يسعى عبد المؤمن للقضاء على هيئتي أهل الجماعة وأهل خمسين في هذه الفترة ولا سيما وأنه غريب عن قبائل المصامدة، وهم عماد الثورة التي لم تبلغ غايتها بعد.

وفي هذه الفترة تولى من بقي من أعضاء الهيئتين الوظائف الكبرى في الحركة. فكان منهم القواد العسكريون مثل عمر الصنهاجي، وعمر الهنتاتي، ويوسف بن سليمان، ويوسف بن وانودين، وابن زجو، وابن يومور، ويخلف<sup>(2)</sup>، وكان منهم الولاة على ما فتح من مناطق مثل سليمان بن وانودين، ويوسف بن مخلوف وعبد الواحد الشرقي<sup>(3)</sup>. وكان عبد المؤمن يستخلف موسى بن سليمان على تينملل<sup>(4)</sup>.

غير أن هذا القول لا يعني أن عبد المؤمن حافظ على وجود الهيئتين بالصورة التي وضعها المهدي، فلو حافظ عليهما بتلك الصورة لما سكنت جميع المصادر عن ذكرهما وربما استخلص من أعضاء الهيئتين جماعة للمشورة، وكان يجمع الباقيين للمشورة العامة كأشياخ للموحدين واستثنى من مشورته من نف ضده أو أراد الأمر لنفسه. وغربته بين المصامدة تتطلب منه دبلوماسية لبقة في تنفيذ ما يريد، فكان عليه التدرج في خطواته ليخلو الجو لأسرته من بعده. ولهذا فالراجع أن عبد المؤمن كان يسعى لإلغاء الهيئتين لكيلا تنازعه الزعامة والسلطة واتبع طريقاً متدرجاً إلى ذلك. فلم يدعم وجود الهيئتين وحفظ المراكز لأعضائهما. فطريقته كانت إهمال التنظيم والمحافظة على أفرادها حتى لا

(1) أخبار المهدي ص 93.

(2) الكامل ج 10 ص 579، ج 11 ص 159، الحلل الموشية ص 121، البيان المغرب (ط. دار الثقافة) ج 4 ص 100، 104، و (طبعة هوسي) ج 3 ص 14، 19، 20، 22، 26.

(3) البيان المغرب ج 3 ص 18، 20.

(4) البيان المغرب ج 3 ص 12.

يكتلوا. وهذا التحول في سياسة عبد المؤمن عن تنظيمات المهدي ربما ألقى بعض الضوء على ثورة ابن ملويه أحد أهل الجماعة عام 527 / 1133<sup>(1)</sup>.

إن هذه الصورة تساعد في فهم صمت المصادر عن الهيئتين من جهة، ومن جهة أخرى نجد تفسيراً للهيئة التي ظهرت ابتداء من بعد فتح مراكش، وظل ذكرها يتردد في المصادر، وهي هيئة أشياخ الموحدين. وقد كان هؤلاء الأشياخ يقومون بكثير من الأعباء التي كان يقوم بها أهل الجماعة وأهل خمسين، الأمر الذي يرجح أنها كانت البديل لهما.

ولقد كان دور هؤلاء الأشياخ استشارياً في المقام الأول، وكان الخلفاء لا يعلنون حرباً أو يستعدون لها ولا يخوضون معارك إلا بعد استشارتهم، وكثيراً ما كان الخلفاء يلتزمون بما يشيرون به<sup>(2)</sup>.

ولما ولي عبد المؤمن أبناءه الولايات (551 / 1156) بعث معهم بعض أشياخ الموحدين مستشارين<sup>(3)</sup>. واحتل بعض أشياخ الموحدين وظائف تنفيذية عليا. فقد كان منهم بعض الوزراء مثل أبناء عمر الهنتاتي وأبناء ابن جامع<sup>(4)</sup>، وبعض الولاة مثل عمر الهنتاتي ويوسف بن سليمان<sup>(5)</sup>، وبعض القادة العسكريين<sup>(6)</sup>.

ومنذ أيام عبد المؤمن كانت منزلة أشياخ الموحدين عالية ورفيعة، فهم أول

(1) Huici; 1, p. 102.

(2) المن بالإمامة ص 218 - 220، 494، 498، 502، البيان المغرب ج 3 ص 113، 130، 146، 147، 151.

(3) نظم الجمان ص 132.

(4) المعجب ص 262، المن بالإمامة ص 420، البيان المغرب ج 3 ص 88، 141، روض القرطاس ص 157.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 38 - 39.

(6) راجع المن بالإمامة ص 182، 191، 194، 195، البيان المغرب ج 3 ص 49، 125 ويكفي أن نراجع أعمال عمر الهنتاتي (أنظر رسائل موحدة ص 123 - 125، المعجب ص 213، الكامل ج 11 ص 156 - 157، روض القرطاس ص 126).